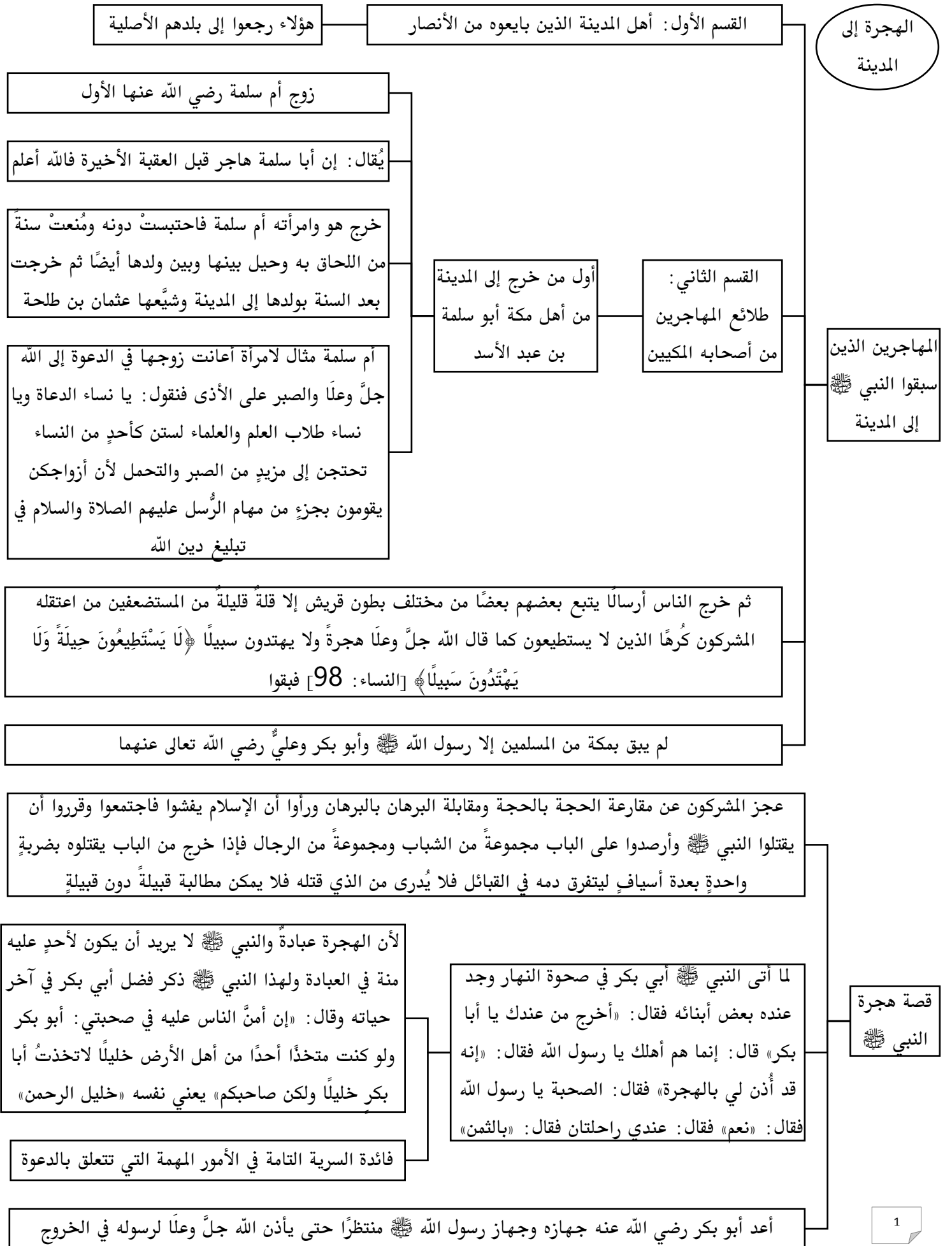


الدرس السادس



قبل الهجرة أمر النبي ﷺ علياً أن يرد الأمانات لأهلها وهذا نوعٌ من أنواع الدعوة أنني أصدق مع الله جلَّ وعلاً وأصدق مع الناس حتى ولو كانوا خصومي

فلما كانت ليلة همَّ المشركون بالفتك برسول الله ﷺ أخذ بالأسباب وجعل في مكانه علياً رضي الله تعالى عنه لإيهام المشركين أن هناك إنساناً مازال في الفراش فلما أذن الله له بالخروج خرج فأعمى الله أبصارهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9] وتقول الرواية والله أعلم بصحتها: أنه ذرَّ على رأس كل واحدٍ منهم تراباً فلما تجاوزهم زالت عنهم الغشاوة وكانوا ينظرون من فتحةٍ في الباب فقالوا: مازال في مكانه



الخُوْخَةُ هي فتحةٌ طريقها صغيرٌ بين بيتين أشبه ما تكون بالطريق الصغير وفي المدينة كان هناك عدة خُوْخَاتٍ يعني طرقٍ صغيرة تُفضي إلى المسجد النبوي الشريف وكل بيتٍ له طريقٌ صغيرٌ إلى المسجد ففي آخر حياته ﷺ قال: «لا تبقين خوخةً إلا سُدَّتْ إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه» والآن في المسجد النبوي إذا صليت جهة الكعبة الجهة الجنوب ستجد خوخة أبي بكر على يمينك

ثم خلص إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه إلى آخره فخرجاً من خوخةٍ في دار أبي بكر ليلاً

قصة هجرة النبي ﷺ

الخريبت أي العارف بالطرق والجواد

واستأجرا عبد الله بن أريقط وكان هادياً خريبتاً ماهراً بالدلالة إلى أرض المدينة وأمناه على ذلك مع أنه كان على دين قومه وسلموا إليه راحتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاثٍ

فائدة: يجوز استعمال المشرك إذا كان مأموناً

ما أحد أنتقى من رسول الله ﷺ ومع ذلك فعل الأسباب اختفى في الغار وخالف الطريق واتخذ دليلاً وخريبتاً واتخذ صاحباً وأعدَّ الرواحل وفي هذا كله ردٌّ على أولئك الذين يزعمون أنهم متوكلون وإنما هم متوكلون ممن يسيرون في المسافات الطويلة إلى الحج أو في الصحاري وكذا ويقولون: نتوكل على الله، الله سيرزقنا مثل ما يرزق الطير هذا مفهومٌ خاطئٌ للتوكل فالتوكل الحق على الله جلَّ وعلاً هو اعتماد القلب على الله مع فعل الأسباب المشروعة ولا يتعلق قلبك بها إنما تفعلها وتتوكل على الله لأنه هو الذي يُمضي الأسباب ويمنعها

تعمدوا عدم السير في الطريق الأصلي وهذا من فعل الأسباب وتعمية العيون وإبعاد الأعداء عن استهدافه ﷺ

بسبب سيره في طريقٍ خلاف ما يتوقع عدوه

فلما بقيا في الغار عمى الله على قريشٍ خبرهما فلم يدروا أين ذهباً

يا نساء المسلمين فليكن لكن بصماتٌ في الدعوة أخرجوا لنا رجالاً يحملون همَّ هذا الدين أعينوا أزواجكم الدعاة وطلاب العلم على المضي في مسيرتهم فإن ذلك أمرٌ وشأنٌ عظيمٌ

كان عامر بن فهيرة يريح عليهما غنماً لأبي بكر وكانت أسماء بنت أبي بكر تحمل الزاد لهما إلى الغار

وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمّع ما يُقال بمكة ثم يذهب إليهما بذلك فيحترزان منه وهذا أحد الأسباب وهو من ينقل الأخبار التي تعين على التوقي

في هذه الفترة كفار قريش أرسلوا أعياناً وفرساناً بحثوا في جهة الشمال من جهة السيل من جهة الطائف في غار حراء لم يجدوا شيئاً فملوا المنطقة الشمالية فبدؤوا يبحثون في المناطق الأخرى فجاء المشركون في طلبهما إلى جبل ثور وهو في جنوب مكة جنوبها يسيراً وما هناك من الأماكن حتى إنهم مروا على باب الغار وحازت أقدامهم رسول الله ﷺ وصاحبه وعمى الله عليهم باب الغار وهنا خاف أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ وقال: "يا رسول الله وصلوا إلى قرب الفتحة والله يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا" قال النبي ﷺ: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» سبحان الله هذا اليقين وهذه الثقة فأعمى الله جلّ وعلاً أبصارهم فلم يروا شيئاً وصرفهم الله سبحانه وتعالى وهذا الموضع أحد المواضع التي يحتج بها الأئمة على أن أبا بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وهو من أعظم ما يُردُّ به على أهل البدع

قصة أن العنكبوت نسجت خيوطها وأن الحمامتين بنّتا العش وباضتا حول الفتحة لتوهما القادم بأن هذا المكان لم يدخل من قريب لو دخل لهتكت شبكة العنكبوت ولانتهت أعشاش الحمام

ابن كثير في قوله: "ويقال" يشير بذلك إلى ضعف الخبر قال: "ويقال والله أعلم إن العنكبوت بنّت أو سدّت على باب الغار وأن حمامتين عششتا على بابه وذلك تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: 40] إلى آخر الآية"

ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" لما ساق هذه القصة قال: حديثها غريب جداً وهذه القصة مشهورة جداً ومع شهرتها لا تصح

الله قادر على أن يجعل العنكبوت تنسج في ثوانٍ والبيض يأتي بسرعة لكن لم يثبت في ذلك خبرٌ ولذلك نحن في مثل هذا لسنا بحاجة أن نثبت هذه القصة أو ننفى عنها لثبتت مثلاً نصرة الله لنبيه فالله جلّ وعلاً حافظ نبيه وناصره بأمر كثيرة جداً.

يقول الله جلّ وعلاً: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 40] لو كان البيض وُجد والعنكبوت نسج لكانت هذه من الجنود التي رآها وهذه آية عظيمة جداً تبشّر كل من استقام على أمر الله ونصر دين الله حقاً فإن الله جلّ وعلاً يؤيده بجنودٍ لا تخطر له على بال فالله جلّ وعلاً من جنوده ما هو ماديٌّ يعني شيءٌ محسوسٌ، ومنه ما هو معنويٌّ ذكره النبي ﷺ: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر» ومن الجنود الحسية ما وقع في غزوة الأحزاب قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9] هذه ريحٌ مبصرةٌ وجنوداً لم تروها الملائكة فقلعت الخيام وأكفأت القدور

توهين قصة نسج
العنكبوت والعش



سار النبي ﷺ إلى المدينة لزيارة
أخواله برفقة أمه وكان صغيراً
بعد ما بلغ عمره ست سنوات،
بعد قرابة سبع وأربعين سنة
من ذلك المسير الأول هاهو
يخرج اليوم من مكة لكنه يخرج
مطارداً ﷺ وهو متجهٌ وقلبه
وعينه ترنوان إلى المدينة التي
طربت واهتزت لقدمه فرحاً
وَحُقَّ لَهَا ولأهلها ﷺ

ولما كان بعد الثلاث ليل
أتى ابن أريقط الراحلتين
فركباهما وأردف أبو بكر
مولاه عامر بن فهيرة وسار
الديلي أمامهما على راحلته
وسلكوا طريقاً آخر غير
الطريق الذي يسير فيه
الناس عادةً

أعلنت قريش جائزة مائة من الإبل لمن يأتي بالنبي ﷺ أو صاحبه
أبي بكر حيًّا أو ميِّتًا

قصة هجرة
النبي ﷺ

على الداعي ألا يُكثر من الالتفات لأنك إذا التفت تأخرت وطريق الدعوة طويلٌ ويحتاج إلى نفس وجهد فالله تعالى لما أرسل الملائكة إلى لوطٍ عليه السلام قالوا له: ﴿وَلَا يَلْتَمِعْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمُضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: 65] وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا يَلْتَمِعْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: 81]

ممن غرتهم الجائزة سراقه بن مالك
المدلجي "وكان سيد مدلج" وكان فارساً
فركب جواده وسار في طلبهم فلما قرب
منهم سمع قراءة النبي ﷺ وأبو بكر
رضي الله عنه يُكثر الالتفات حذراً على
رسول الله ﷺ وهو ﷺ لا يلتفت

فقال أبو بكر: "يا رسول الله هذا سراقه بن مالك قد رهقنا" يعني أدركنا فدعا عليه النبي ﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض وهذه من آيات الله التي أعطاها الرسول ﷺ فتعطل فعرف أنه أصيب بدعوة فكأنه لمح شيئاً من قيام دولة مسلمة وسيأتيها رزقها فقال: أعطني كتاباً فأعطاه النبي ﷺ كتاباً في جلدٍ هذا معنى قوله: "فكتب له أبو بكر في كتاباً من آدم ولما هم سراقه بالانصراف قال له النبي ﷺ: «كيف بك يا سراقه إذا لبست سوارى كسرى؟» ورجع يقول للناس: قد كُفِيتُم هاهنا" هذه الجهة ما فيها أحدٌ فكُفي النبي ﷺ وقال: قال الله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137] يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون قد ينصر الله جلَّ وعلاً الذين برجل كافر أو فاجر

قصة سراقه
بن مالك

جاء سراقَة مسلماً عام حجة الوداع وهو الذي قال لما قال النبي ﷺ: «أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا»، فقال سراقَة: يا رسول الله أفى كل عام؟ قال له: «لو قلتُ، لوجبتُ»، والمعنى أنها في العمر مرة واحدة.

ودفع إلى رسول الله ﷺ الكتاب الذي كتبه له فوفى له الرسول ﷺ بما وعده وهو أهلٌ لذلك ﷺ

قصة هجرة النبي ﷺ

قصة سراقه بن مالك

تدور الأيام وتُفتَح المدائن وتُفتَح فارس فيؤتى بالسوارين عمر رضي الله عنه وقد كان بلغه هذه الكلمة فقال: أين سراقه بن مالك فألبسه إياهما هما ذهب، أو أعطاه إياهما ليوقن بموعد رسول الله ﷺ

في حديث تميم الداري: «ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وأهله وذلاً يذل الله به الكفر وأهله».

والخسارة أن تكون في مؤخرة الركب أو أن تكون على هامش الحياة ليس لك أي بصمة مؤثرة في واقعك ولا في خدمة الدين ولا في نصرته هذه هي المصيبة.

هذه القصة بعض العلماء يُضعفونها وبعضهم يُثبتونها لكنها مشهورة جداً عند المؤرخين

قصة أم معبد

ومر رسول الله ﷺ في مسيره ذلك بخيمتي أم معبد استراح عندها وقت القيلولة قال: «هل عندك شيء؟» قالت: لم نُسَقِ العام العام مُجدبٌ فجفَّ الضَّرْعُ وقلَّ الزرع إلى آخره فنأدى بإحدى الشياه فسمى بالله ومسح ضرعها فدرت حليباً فشرب وسقى وسقى من معه وسقى الأم وكان أبو معبد قد غاب فلما جاء، سألها: هل حدث شيءٌ عندك أم لا؟ فأخبرته بهذه القصة قال: والله هذا محمدٌ الذي تطلبه قريش لكن بعد ما مشى وسار

بلغ الأنصار رضي الله عنهم أن النبي ﷺ خرج من مكة وأنه جاء متجهاً فاصداً إليهم والسير من مكة إلى المدينة عادةً يأخذ قرابة عشرة أيام فلما تحيَّينوا كانوا يخرجون وكان تأخر النبي وابي بكر بسبب مكوثهم في غار ثور ثلاثة أيام في غار ثور فكانت مدة السير ثلاثة عشر يوماً كان يقاسي فيها حر الشمس ولهب الصحراء وهو يعرف أنه قد أهدر دمه وأن القبائل تتطلع إلى قتله ﷺ

فكانوا يخرجون إلى الحرّة ينتظرونه فلما كان اليوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر سنة من نبوته خرج الأنصار وبقوا إلى أن ارتفع الضحى فلما طال عليهم رجعوا إلى بيوتهم

دخول رسول الله ﷺ المدينة

في ذلك اليوم وافهم رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى دخل النبي ﷺ المدينة فكان أول من بصَّر به رجل من اليهود وكان على سطح أُطيه (الأطم هي الأسوار المحيطة بالقصور) فنأدى بأعلى صوته: يا بني قبيلة (أم الأوس والخزرج) هذا جدكم (يعني حظكم وعزكم) الذي تنتظرون فخرج الأنصار في سلاحهم فتلقوه لأنهم عاهدوه على النصرة وخافوا عليه من اليهود

اشتهر أن الأنصار لما قدِم عليهم النبي ﷺ كانوا يقولون: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع إلى آخره، وقد أنكر ابن القيم رحمه الله وجماعة من المحققين أن تكون هذه القصة في مقدمهم من مكة إلى المدينة وإنما كانت في مقدمه من تبوك إلى المدينة بعد غزوة تبوك وهذا هو الصحيح سنة تسع

ونزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن الهمد وقيل: بل على سعد بن خيثمة، وجاء المسلمون يسلمون على رسول الله ﷺ وأكثرهم لم يره بعد وكان أكثرهم يظنه أبا بكر لكثرة شبيهه بينما النبي ﷺ لم يكن ذا شبيب بل مات كما يقول أنس رضي الله عنه: وليس في لحيته سوى إحدى وعشرين شعرة غالبها في العنفة التي تحت الشفة السفلى وكان النبي ﷺ أسنُّ من أبي بكر قليلاً فلما اشتد الحر قام أبو بكر بثوب رضوان الله عليهم يظل على رسول الله ﷺ فتحقق الناس حينئذ رسول الله ﷺ قال أنس رضي الله عنه: "قدِم النبي ﷺ المدينة فأضاء منها كل شيء فلما مات أظلم منها كل شيء"